

في نور محمد فاطمة الزهراء

مُدَّت صغراهنَّ بنذالة «جناح». نشط اللئام إلى ردها القهقري على الطريق، ووقف «كنانة» دونهم بنبله، يتهيباً لرشقهم بالسهام، لكنَّ الخسبة أبت على «هبار» إلاَّ أن يقهر الركب المرتحل على العودة. على حين غرّة نخس [1148] الجبان بعير الراكبة، فجفل [1149] يركض بها، خابطاً خبط عشواء، يلوذ بالجموح... وفي لمحة خاطفة طوحت [1150] الجفلة المفاجئة بزینب عن الظهر لتتلقها صخرة بكلِّ ما فيها من صلابة وقسوة، فإذا هي على الأرض غريقة في الدماء. ولم تدّمَ السيدة من جراح في ظاهر البدن، إنَّما دُميت من داخل جوفها المستور، فلقد أجهتها السقطة العنيفة جيناً، عاش من عمره الرحمي بضعة أشهر، وكان ينتفض بالحياة تحت عين الأُمومة الدامعة حتّى نضبت منه معين الحياة على مهاد الرمال. *

* * واختلطت العبرات بالعبرات وبكت الأختان ما نزفت مآقيهما الحزن والألم والفجيعة قطرات. في كلِّ حرف من كلمات زينب، كانت فاطمة ترى دمعة تتألق كمرآة يتراءى على صفحتها المصقولة خيال الحسرة. ومع كلِّ نبرة من جرس ذلك الصوت الحزين، الذي يخنقه لهاث التفجّع وتأوّه الأنين، وبما كانت تحسُّ في جسدها هي مثل أثر نخسة «هبار» يزاحم على جرحها القديم أثر نخسة سيف «ابن نقيذ».